الأدب والنقد في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

انه فصيح :

كتبت في العدد الأسبق من الرسالة (١) ردا على الأستاذ أحمد محمد بريري في مخطئته — بصحيفة الأساس — الدكتور طه حسين في قوله بأحد مؤلفاته « يريدون أن يضحكوا من الصحف ورؤساء التحرير فيدخلون عليها فصولا نشرت على أنها لم تنشر » إذ رأى الأستاذ أن الصواب « فيدخلوا » لا « فيدخلون » متوهما أن الفعل منصوب بعد فاء السببية.. وقلت ما مجمله أن الفعل مرفوع لا منصوب

وقد تناول الأستاذ بريري هذا الرد ، يرد عليه في « الأساس » (٢١ — ١١ — ١٩٥١) قال بعد أن أورد ما كتبته :

(ولقد علمني « شيخي » أن مسوغات النصب بعد فاء السببية هي : الأمر ، والنهي ، والدعاء بفعل أصيل ، والاستفهام ، والنفي ، والعرض ، والتحضيض ، والتمني ، والرجاء على خلاف ، وغير عند الكوفيين ، والتشبيه الواقع موقع النفي

فما غاب عن شيخي أن النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لا بد له من مسوغ ، وإنما غاب عن الأستاذ عباس خضر كثير من المسوغات .. فإن تعبيره غير جامع ولا مانع ، لأن النفي والطلب — إذا روعيت الدقة — بعض من كل ، في حين أن من يقرأ كلام الأستاذ يفهم أنهما كل شيء في هذا الباب ، كما يفهم أن ثمة تضادا بين فاء العطف وبين فاء السببية .. فالفاء عنده إما أن تكون عاطفة ، وإما أن تكون سببية .. والواقع أنه لا تضاد ، وأن فاء السببية عاطفة في أكثر الصور ، عاطفة في بعضها .. وأن بعض النحاة لمحها عاطفة دائما حتى إذا التفت

(١) العدد ٩٥٩

المشاكلة بين الجملتين .. ومع هذا فنحن بعد عن هذا الأمر ، فنحن متفقون على أنها في قول الدكتور طه حسين « يريدون أن يضحكوا من الصحف ورؤساء التحرير فيدخلون عليها فصولا على أنها لم تنشر .. الخ » عاطفة .. وإنما وجه الخلاف في المعطوف عليه .. فالأستاذ عباس خضر يرى أنه « يريدون » وبهذا يسلم قول الدكتور طه حسين من اللحن .. أو يصبح ، على حد عبارة الأستاذ خضر ، لحنا فصيحا . بينما يراه شيخي لحنا قبيحا ، لأن الفاء عاطفة على « يضحكوا » لا على « يريدون » وأن الأستاذ عباس خضر يتحكم . ونحن نحتكم إلى قواعد العربية . . وأنها لتقرر أن فاء العطف تفيد الترتيب والتعقيب على خلاف الواو . فأنت ، إذ تقول جئت فسمعت فتكلمت . تعني أن هذه الأفعال وقعت متعاقبة كما رتبتها الفاء فإنها تربط ما قبلها بما بعدها ربطا مباشرا ...

فإذا نظرنا في كلام الدكتور طه حسين مع مراعاة حكم القاعدة ، تعين العطف على « يضحكوا » . .

وأحب أن أقول للأستاذ عباس خضر إن بين النحاة من لم يرضه تعليل الرفع في قول الحطيئة « يريد أن يعربه فيعجمه » لأن ابتغاء السببية لم ينف العطف بالفاء . . وهو بهذا إنما يكون على أقرب الفعلين كما تقضي قاعدة الترتيب والتعقيب . وما صح كلام الحطيئة إلا لأنهم تجوزوا وتوسعوا في الشعر ، فرفعوا ما حقه أن ينصب ، كما في رجز الحطيئة ، ونصبوا ما حقه أن يرفع كما في قوله :

سأترك منزلي لبني تميم ... وألحق بالحجاز فأستريحا

وإن كان بعضهم يرى جواز النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية دون اعتماد على نفي أو طلب أو غيرهما

ورفعوا ما حقه أن يجزم كما في قوله :

يا أقرع بن حابس يا أقرع ... إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقد يكون الأستاذ عباس خضر ممن يرون أن كلام الدكتور طه حسين كله شعر . . وأن من حقه في التجوز والتوسع هو هو حق الشعراء جميعا سواء أقبل النحاة ، أم رفضوا .. وسواء أغضبوا أم رضوا .)

أقول مرة ثانية : سبحان الله يا أستاذ .. ويا عجبا لك ولشيخك ! كيف غاب عنكما في هذه المرة أن « المسوغات » التي ذكرتها ، من الأمر والنهي .. الخ ، هي نفسها أنواع الطلب وليست شيئا مغايرا له .. كما غاب عنكما في المرة الأولى أن المضارع لا ينصب بعد فاء السببية إلا إذا سبقت الفاء بنفي أو طلب ... ؟ وإذا كنت تعتقد أن هذه « المسوغات » التي غابت عني أشياء أخرى غير الطلب فما هو الطلب إذن .. ؟ هل أطمع أن تذكر لي مثلا من أمثلته ؟ وكيف علمك « شيخك » أن هذه الأشياء التي تسبق فاء السببية فينصب الفعل بعدها اسمها « مسوغات » وما هي إلا شروط .. ؟ ولعلك عرفت الآن أنه لا داعي لمراعاة « الدقة » في التعبير .. إلى آخر ما طاب لك في هذا المقام ...

وأنا يا سيدي الأستاذ لم أنف السببية عن الفاء العاطفة ، فقد قلت إنها فاء العطف وأنا أقصد أنها ليست فاء السببية التي يعدها النحاة من الأدوات التي ينصب المضارع بعدها بأن مضمرة إذا سبقت بطلب أو نفي ، فالذي يهمنا من الفاء في موضوعنا إنما هو أثرها في الإعراب

وانعد عن كل ذلك ، على ما فيه ... لنصل إلى محور الموضوع ، وهو نصب الفعل « يدخلون » في كلام الدكتور طه حسين على ما ترى ، ورفعه على ما أرى . إنك خطأت رفعه في مقالك الأول لأنه — كما توهمت — واقع بعد « فاء السببية » فلما عرفت أن فاء السببية لا ينصب بعدها الفعل إلا إذا سبقت بنفي أو طلب (بغض النظر عن فهمك للطلب من حيث إنه غير جامع لما ذكرت من الأمر والنهي .. الخ)

لما عرفت ذلك من ردي أو من شيخك بعد أن قرأت هذا الرد .. حورت المسألة إلى وضع آخر ، إذ قلت إنك متفق معي على أن الفاء عاطفة وإنما الخلاف في المعطوف عليه ورجحت العطف على « يضحكوا » .. فأنت إذن قد رجعت عما قلت أولا بعد أن عرفت خطأه وإن كنت لم تعترف بذلك .. ثم حاولت أن تتمادى في التخطئة على وجه آخر أو على « قفا » شيخك .. واحتكمت إلى أن فاء العطف تفيد الترتيب والتعقيب وليكن ، أليس إدخال الفصول على الصحف واقعا بعد الإرادة وعقبها ؟ أما إذا جعلنا « يدخلون » معطوفا على « يضحكوا » فإنه لا يتصور

كشكول الأسبوع

□ كان معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، أمر بتأليف لجنه برياسة صادق جوهر باشا وكيل الوزارة، كي تضع أنظمة لتطبيق القانون الذي يقضي بتعليم اللغة العربية والثقافة المصرية في المدارس الأجنبية . وقد انتهت اللجنة من عملها ورفعت تقريرها إلى معالي الوزير . ويتضمن هذا التقرير وجوب تعليم اللغة العربية لتلاميذ تلك المدارس سنة على الأقل في المرحلة الابتدائية . ويقول التقرير : ولما كان تعليم الدين الإسلامي في المدارس الأجنبية يلقى كثيرا من الصعوبات فيكفي بأن يسمح للتلاميذ المسلمين بتلقي هذا التعليم في أقرب مدرسة أميرية أو يتعهد ولي الأمر بتعليم التلميذ

□ توفي في الأسبوع الماضي للدكتور له جمال الدين أباظة بك المستشار السابق ، ولقد كان رحمه الله أديبا متمكنا متفقها في الأدب كما كان متفقها في القانون . ولا أنسى الجلسات الأدبية التي جمعتنا به في ندوة الأستاذ كامل كيلاني وما كان يفيض في الندوة من أحاديثه العذاب ولقاءاته الأدبية البارعة

□ اقترح الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر في الباكستان ، على الحكومة المصرية ، أن تعنى بمشروع معاهدة ثقافية بين مصر والباكستان

□ « الصحافة العسكرية » عنوان كتاب جديد للأستاذ محمود عيسى ، يتحدث في أوائله عن تاريخ الصحافة العسكرية مبتدأ بصحيفة الصحن المصري « بتاح » منذ خمسة آلاف سنة ، حتى مجلة الجيش المصري في عهد الفاروق . ويأتي بعد ذلك القسم الأكبر من الكتاب ويشمل تراجم لحياة طائفة كبيرة من الكتاب والصحفيين في الجيش المصري . والكتاب يجلو هذه الهامة في حياتنا الفكرية ، بحسن في التنسيق ونفوذ في الموضوع وجمال في العرض والأسلوب

□ إزاء النجاح الذي لقيته فرقة المسرح المصري الحديث في مسرحية « مسمار جحا » رأى مديرها الأستاذ زكي طليمات أن يوالي المشاركة الفنية للحرية الوطنية الحالية ، فاعتزم تقديم مسرحية وطنية أخرى اسمها « دنشواي الحمراء » على مسرح حديقة الأزبكية ابتداء من أول ديسمبر

الترتيب والتعقيب بينهما لأن الإدخال يسبق الضحك لا العكس

ولا أكتم عنك ياسيدى الأستاذ شعورى بأننى أوضح أمورا واضحة ، ولكن ما حيلتى ؟

ونسبت يا سيدى الأستاذ إلى بعض النحاة مالا ينبغى أن ينسب إلى نحاة ، إذ قلت إن هذا « البعض » لم يرضه تعليل الرفع فى قول الحطيئة « يريد أن يعربه فيعجمه » لأن العطف يكون على أقرب الفعلين .. كأن هذا البعض يريد أن يعطف « يعجمه » على « يعربه » فيكون المعنى أو « اللا معنى » يريد إعرابه فإعجامه . . أى يريد الضدين مما ! ومن أين أتيت يا سيدى بهذه القاعدة : « العطف يكون على أقرب الفعلين » وماذا تقول فى هذا المثال : « يريد الكاتب أن يخطئ غيره فيخطئ هو » هل « يخطئ » معطوف على « يخطئ » فيكون المعنى يريد تخطئة غيره وخطأ نفسه .. أو معطوف على « يريد » مع السلامة التى لا بد لها من التنازل عن قاعدة العطف على أقرب الفعلين ؟

وأراد الأستاذ بريرى أن يقحم أشياء أخرى غير ما تعرضت لمناقشته فيه ، فقال :

(وقد أسلم للأستاذ عباس خضر هذا الذى يراه إن كان يراه .. ولكن ما رأيه فى أن الدكتور طه حسين قد تجاوز فى النثر ما أجيز فى الشعر ..؟

فما علمنا شاعرا نفى الفعل المثبت « بقد » فقال « قد لا يكون » كما فعل الدكتور طه حسين ، ولا نفى المسوف بسوف فقال « سوف لا يكون » ولا أكد بإضافة المؤكد إلى المؤكد فقال « نفس فلان » يدل « فلان نفسه » ولا استعمل كاد كما يستعملها الدكتور طه حسين حين يقول — مثلا — ما كدت أفعل كذا حتى حدث كذا ، يعنى « ما فعلت » أو « ما أن فعلت » .. إلى آخر ما كتبنا ، وغيره مما سنكتب فى الأساس

وإذا سلمنا — جدلا — للأستاذ عباس خضر أن لحن الدكتور طه حسين فصيح .. أو أنه لحن ما أفصحه فى حكاية الضحك من الصحف ورؤساء التحرير ، أفيراه كذلك لحن ما أفصحه فى حكاية النفى بعد قد وغيره مما كتبناه ، أم يسلم لنا أنه لحن ما أقبحه .!

هذا على أنى ما أردت أن أنكر على الدكتور طه حسين مكانه فى الأدب عامة ، وفى اللغة العربية وأدبها خاصة ، وهل فى وسعى ، لو أردت ، أن أفعل ..؟

ولكن أحد تلاميذ الدكتور طه حسين روى عنه أنه قال : إنه ثالث ثلاثة لا يلحنون أو أنهم معصومون من الخطأ .. فرأيت أن أقيم الدليل على أنه كغيره من العلماء ، قد يلحن .. وقد يخطئ .. وأن الخطأ لا ينقص من قدره ، ولا يذهب بشئ من فضله .. فإن حظ بنى آدم أن يخطئوا حينا .. وأن يصيبوا حينا .. وإذا شاء الأستاذ خضر أن ينكر على الدكتور طه حسين آدميته فما أحسبه يريدنى على أن التزم معه هذا الإنكار

وبعد ، فإنى أعتب على الأستاذ خضر أنه يحسبنى أخجل من الخطأ .. فهل ادعيت العصمة فأستحى أن أرد إلى الصواب .؟

كلا .. فأنا على أتم استعداد لتلقى الإرشاد من الأستاذ عباس خضر .. بل لعلى أحق بعونه من الدكتور طه حسين ..

وثمة شئ أخجل — حقا — لو شاء الله أن أقع فيه : ذلك أن أقول غير ما أعتقد فى نحو اللغة العربية أو غيره من أنحاء الحياة)

وإنى أعتب على الأستاذ الفاضل ، وأحيى فيه روح المجدين للوصول إلى الصواب ، وأقول : إنى لم أبذل عونا إلا للحق الذى قصدت أن أنفض عنه ما علق به من غبار ، ولهذا أسأل الأستاذ بريرى : لماذا حورت الموضوع من المناقشة فى نقطة معينة إلى الكلام حول الدكتور طه حسين وما وهمته من أخطاء له . . ؟ وإنى مع ذلك أجيبك إلى هذا الذى نقلتنا إليه

« قد لا يكون » لم لا يكون ؟ نعم قال بعضهم إن « قد » إنما تدخل على الفعل المثبت ، ولكن أى « قد » ؟ إنها تكون للتحقيق ولتقريب الفعل الماضى من الزمن الحالى ، وهذا فيما أرى مرجع التعليل لجعل « قد » للإيجاب ، فإن النفى لا يتفق مع التحقيق والتقريب ، أما « قد » التى تدخل على المضارع للتقليل أو التوقع — كما فى « قد لا يكون كذا » فلا تتعارض